1. (فلاش باك)

_ هل راودك من قبل هاجس أن تعود بالزمن الى الماضى ؟
هكذا سألنى صديقى نادر او (المجنون) كما يطلقون عليه اصدقائنا ، لم ابدى اى ردة فعل فى البداية سوى ابتسامة خفيفه دون أن اتفوه ببنت شفة ، فأنا اعلم جيدا انه عبقرى ؛ فهو الصديق الاقرب لى عن الباقين و انا الاقرب له ايضا كما يخبرنى دوما ، ربما لاننى اؤمن بموهبته ولا اسخر منه قط و انصت اليه بكل حواسى عندما يطلعنى على أفكاره المختلفه ، نادر هذا اسمه الذى يليق به حقا ، شخص مبدعو يمتلك خيال رائع دائما مختلف عن جميع من حوله و لكن مختلف بتميز ليس اختلاف من اجل الاختلاف ، لم تكن أفكاره فقط هى المختلفه بل ملابسه و هيئته حتى عويناته المستديرة التى صنعها بنفسه لتمكنه من الرؤية حتى فى الظلام المعتم ، عن طريق لمبتين بحجم حبة السكر يضيئان عندمايضغط على زر وضعه فى الجانب الايمن من زراع العوينات يعادل ضوئهما نصف اضائة مصباح سيارة صنعهما بنفسه ، و اشياء اخرى كثيرة قام بصناعتها مثل ريبوت صغير فى حجم كوب يقوم بإلتقاط جميع النفايات من الارض حتى الاشياء كبيرة الحجم يقوم بإذابتها لتنكمش و تصبح اصغر حجما ثم يحتفظ بها ، انا اثق تمام الثقه فى انه سيصبح فى يوما ما اشهر شخص فى العالم و ان التاريخ سيذكره حتى النهاية ، دعك من هذا كله فهو ادهشنى كثيرا فى هذا اليوم عندما سألنى ذلك السؤال الذى جعلنى افكر بحماس شديد ماذا يقصد ، لكننى ظللت صامتا اتأمل كلماته و احدق به فى صمت فأعاد سؤاله من جديدبعدما صاح بى _ ادم
_ هل راودك من قبل هاجس أن تعود الى الماضى ؟
_ ماذا تقصد يا نادر ؟
_ لم اسمع طوال عمرى عن احد استطاع فعل ذلك الا فى

الاساطير !
ابتسم هو فى ثقه كعادته ثم قال و هو يستندعلى السور الحديدى و ينظر الى مياة النيل ، بالمناسبة نسيت ان اخبرك بأننا نقف فوق كوبرى قصر النيل
_ أن تعود الى اهم نقاط قامت بتغييرحياتك و شخصيتك
_ و جعلتك الشخص الذى تعيشه الان
انعقد حاجبى مندهشا مما يقول ، اشم رائحة ابتكار جديد و تنتابنى حالة من الفضول القاتل هذة المرة
_ ممكن توضح اكتر و تحترم ذكائى المحدود
قلتها فى حماس واضح
_ اهم المراحل التى مررت بها حتى الان
_ حبيبتك القديمة التى جعلتك تخشى أن تخوض اى علاقة حب جديده
_ صديقك السئ الذى تسبب فى ذلك
قالها و هو يشير الى زراعى الأيمن ثم اردف
_ ثم اكتشفت فيما بعد انه لا يستحق أن تفعل من اجله شئ
_ ماذا تريد الان ؟
قولتها بنفاذ صبر ، فربت على كتفى قائلا
_ لم اقصد مضايقتك ، لكن الامر يستحق الاهتمام
_ ما رأيك ان جعلتك تعود بنفس قدرتك على التفكير الان ؟
_ كيف ؟
تسائلت فى زهول ، و كأنه يخبرنى بأن الفراعنة المصريين سيعودوا الى الحياة مرة اخرى كما كانوا يظنون
_ بطريقة ما ستعلمها عندما انتهى
قالها ثم أردف
_ سأمنحك الحرية للمرة الثانية فى اختيار الأشخاص و القرارات التى ندمت عليهم ، و سنرى سويا نتائج تعديل اختياراتك
_ صحيح ان هذا الامر فى غاية الغرابة ، لكنه يستحق المغامرة حقا

_ افهم من ذلك انك توافق على خوض هذة التجربة ؟
_ نعم اوافق
_ عظيم ، سنتقابل غدا فى الرابعة عصرا عند منزلى لنبدأ
_ اتفقنا
ظللت حتى عدت إلى منزلى لا أفكر فى شئ سوى هذا الأمر ، و اتسائل ماذا سيحدث حقا ان قمت بتبديل اختياراتى ؟ ، لكنى لم أجد إجابة ، حتى عندما ذهبت الى فراشى لأحصل على قسطا جيدا من النوم لم يكف عقلى عن التفكير، قمت بعدة محاولات لكى يتوقف عقلى قليلا ، لكن باءت جميعها بالفشل ، فذهبت الى الشرفة و جلست ممسكا كوبا من الشاى و أشعلت لفافة تبغ ، فلاش باك و بدأ عقلى يتحول إلى شاشة تلفاز تعرض بعض الذكريات المنحوته داخل ذاكرتى ، اشياء لن تستطيع السنوات ان تمحيها ، اولها عندذهابي إلى الجامعة لحضور اول يوم دراسى ؛ أثارت مشاعرى من الوهلة الأولى ، عينان بنيتان ذات بؤبؤان متسعان ، و أنف صغير مثل قطعة توت ، و وجنتين يغزوهما الاحمرار مثل ثمرتى تفاح ، و شفتين بإمكانهما محو صور جميع الفتيات الجميلات اللاتي حفظن فى ذاكرتك ، إنها مريم حبيبتى الأولى و الأخيرة ، عندماوقعت عينى عليها شعرت اننى تعرضت لصاعقة كهربائيه ، و على الرغم من انى لم أؤمن بالحب من النظرة الأولى قط و اعارض كل من يحاول اقناعى بذلك ، الا اننى تخليت عن مبدئي فورا دون جدال عندما رأيتها ، لم يكن الجمال هو أول الأشياء التى تجذبنى فى الفتيات ، فى بعض الأحيان يكن الجمال واجهه تخفى قبح دفين داخل النفس ، لكن اخلاق المرأة دائما هى الكنز الأهم الذى يبحث عنه جميع الرجال ، مرت الأيام و انا اراقبها فى صمت تتملكنى حالة قاسية من الخجل ، حتى إننى دون مبالغة شعرت بأننى مراهق فى سن الثالثة عشر ؛ لقد أصبحت مولعا بها دون أن يحدث بيننا أى حديث ، حتى ان حسن أحد أصدقائي الذين نشأت بيني و بينهم علاقة صداقة بحكم وجودنا فى كلية واحدة ، سألنى ذات يوم

_ هل انت بخير يا آدم ؟
قالها بعدما ربت على كتفى الأيسر ليوقظنى من شرودى
_ نعم ، انا بخير
ابتسم بخبث ثم قال
_لا أظن ذلك
_ لماذا تقول ذلك !
تسائلت فى دهشه
_ لأننى مررت من أمامك ثلاثة مرات و لم تلاحظ
_لا تقلق .....
قاطعنى سريعا
_لا شئ يجعل الرجل شاردا و تائها سوى الحب
حاولت ان أكذب لكننى كالمعتاد دوما فشلت فى ممارسة الكذب و هذا شيئا يسعدنى طوال حياتى ، دعك من ذلك لقد أخبرته بحقيقة الأمر فتعجب كثيرا ، لانه صرح لى من قبل أنه معجب كثيرا بشجاعتى و جرأتى فى خلق حديث مع أى شخص لا أعرفه ، وقتها اخبرنى ان الإنسان عندما يستحى و يشعر بصعوبة بالغة في التصريح عن مشاعره للطرف الآخر ، وقتها فقط يعلم أنه تعثر فى بئر الحب ، حاول أن يقدم المساعدة لكنى رفضت بإستماته
_ كما تريد ، لكننى اعدك بأنك لن تنالها
هكذا غرس سكينا فى قلبى و غادر ، بعد مرور ستة أشهر اخبرنى أحد أصدقائى بأن الجامعة أعلنت عن رحلة إلى مدينة الإسكندرية ستنطلق بعد شهر ، لم تكن لدى رغبة فى الذهاب و بالفعل اخبرته بذلك فأخبرنى محذرا الا أضيع تلك الفرصة ، تسائلت مستفسرا
_ ماذا تقصد ؟
_ علمت بطريقتي الخاصه ، ان مريم ضمن الأشخاص الذين قاموا بتدوين اسمائهم فى تلك الرحلة
و بالطبع وافقت و قررت أن اتشجع و اصرح لها عن بركان المشاعر الثائر بداخلى منذ رأيتها ، ظللت أحضر ما سأقوله لها و اعدله و أعيد ترتيبه عدة مرات فى كل يوم ، حتى انى كنت اقوم بإلقاء تلك الكلمات أمام المرآه و كأنني سألقى خطابا رسميا أمام شعبا كاملا ، مرت الأيام

ببطئ شديد حتى حانت اللحظه الحاسمة ، كانت تسير وحدها فوق رمال الشاطئ بإنوثة طاغية ، جعلت امواج البحر تتسابق من أجل ملامسة أصابع قدمها الصغيرة ، و الرياح تداعب حجابها ذو اللون الازرق الساحر ، حتى الشمس شعرت بالغيرة من مغازلة الكون لها فتعمدت ان ترسل خيوطها الذهبية لتزعجعها و تجعلها تغمض عيناها الساحرتان ، فى تلك اللحظة كنت اترقبها و اتأهب لمواجهتها الأكثر صعوبة من مواجهة الحقائق ، محاولا استجماع قدرا كافيا من الشجاعة لالقى بخطبتى على أكمل وجه ، و بدأت بالفعل أسير تجاهها بخطوات بطيئة و انا اتمتم بما سأقول لكى لا انسى ، و عندماأصبحت على بعد خطوات قليلة توقفت فجأة و جحظت عيناي مما رأيت ، ظهر حسن فجأة و دنا منها فتوقفت ، تحدث معها قليلا ثم استأنفت السير بصحبته ، تجمد عقلي وقتها و تسائلت فى قرارة نفسى ماذا يحدث ؟ لكن لم أجد اى إجابة مرضية ، ظننت للحظه ان هناك علاقة بينهما لا اعلم عنها شئ و لكن كيف ؟ ، عدت مرة أخرى إلى اصدقائى منتكس الرأس محطم القلب بائس إلى أبعد الحدود ، تسائلوا جميعا عن سبب عودتى حزين هكذا ؟ ، أخبرتهم بما حدث فقالوا انه شخص سئ يملك من الندالة ما يكفى لفعل ذلك ، بدأ حازم صديقنا او (دكتور حب) كما يدعوه البعض فى تحليل الامر ، فقال بنبرةهادئه تملئها الحكمة

_ من المؤكد انه انجذب إليها عن طريق حديثك عنها

فتسائلت فى حزن جعلنى لا أتفهم ما قال

_ ماذا تقصد بالظبط ؟

تنهد ثم ابتسم فى هدوء و قال

_لا توجد فتاة قبيحة ، و لكن لا يرى جمال الفتاة الا من أحبها بصدق

_ و انت أحببتها لذلك استطعت ان ترى الجمال القابع بداخلها

صمت لحظة و نظر حوله كان الجميع ينصت إلى كلماته بإستمتاع واضح تنهد ثم استرسل

_ و لكن خطأك هو أنك أخبرت شخصا آخر بذلك

_ و دون ان تدرى أشعلت نارا بداخله لن تنطفئ الا بالحصول عليها
كانت كلماته كالسهام الحارقة اخترقت قلبى واستطاعت إصابته بدقة ، بعد مرور بعض الوقت كنت أجلس وحيدا انفث الدخان فى غضب ، اخترق صوته اذنى التى أصبحت صماء فأعادها للعمل من جديد
_ ادم صديقى
قالها حسن فرمقته بنظرة نارية يتفهما هو كثيرا دون ان اتفوه بكلمة
_ هل تسمح لى بالجلوس قليلا ؟
لم أجيبه لكنه سمح لنفسه نيابة عنى و جلس
_لا أريدك أن تسئ الظن بى
تفحصنى بعينه ليشاهد رد فعلى ، لكنى تعمدت أن أظهر مثل اى جماد بلا روح بلا حركة بلا اى ردة فعل ، عندما شاهد ذلك استرسل
_ بعيدا عن اى اهانات تعرضت إليها من قبل أصدقائنا
_ لم يكن لى هدف من الحديث معها الا من أجلك انت
_ حاولت ان اخبرها بأن هناك شخصا يعشقها دون ان اذكر اسمك
_ لكى لا اعرضك للإحراج
هنا التفت له تلقائيا لاستمع لنهاية الحديث و هى النقطة الاهم بالنسبة لى ، لكنه في هذه اللحظه أدار وجهه عنى او للوضوح تعمد ان لا تلتقى أعيننا ،ثم قال بنبرة حزينة
_ للأسف اخبرتنىبأنها مرتبطة بشخص اخر
فى هذه اللحظة شعرت باننى تعرضت لاصطدام بشيئا صلب و توقف عقلى عن التفكير و ظل قلبى يقطر دما ، لم استطيع فعل شئ سوى اننى جمعت أشيائي و قررت العودة إلى المنزل دون ان أنتظر نهاية اليوم لأعود بصحبة الجميع ، مرت عدةأيام و انا ممتنع عن الذهاب إلى الجامعة كنت لا أريد أن أراها فيتجددالعذاب بداخلى ، فى النهاية قررت أن أعود إلى دراستي و ان لا أهتم بتلك الأمور التافهه مرة أخرى ، و انتهى العام الدراسى الأول بدرجة جيد كانت نتيجة طبيعية بالنسبة لى لكنى عاهدت

نفسى اننى فى العام المقبل سأحصل على درجة الامتياز ، فى منتصف الإجازة حدثنى حسن عبر الهاتف الخلوى ذات يوم ، و اخبرنى أنه وقع فى مشكلة كبيرة و اننى يجب ان اذهب إليه ، لم أفكر فى شئ سوى إنقاذه و بالفعل ذهبت مسرعا إلى العنوان الذى اخبرنى اياه ، و بالفعل وصلت كان المكان معرض صغير لتأجير السيارات يقع داخل أحد الأحياء الشعبية الفقيرة ، قابلت صاحب المعرض و تحدثت معه مستفسرا عن حقيقة الأمر ، فأخبرني الرجل ان حسن استأجر منه إحدى السيارات الحديثة لمدة يوما كاملا و بالفعل اعطاها له بعد قيامه بالتوقيع على إيصال فارغ لم تحدد داخله أية مبالغ نقدية ، و عندما جاء ليعيدها تفحص الرجل سيارته فوجد بها عدة خدوش و المصباح الخلفى محطم نتيجة لتعرضها للاصطدام ، فأخبره انه لن يعطيه الإيصال الا عندمايقوم بإصلاح السيارة او دفع ثمن إصلاحها ، فدفعه الآخر و صاح به انه لن يعطيه شئ و انه سيأخذ الإيصال بالقوة ، لم يكن يعلم أنه لا يستطيع فعل ذلك ، لكنه بعد قليل تأكد بنفسه عندماجاء أقارب الرجل و إخوته و جيرانه و ابرحوه ضربا ، عندماتمعنت فى وجه حسن أستطعت فورا تخيل ما حدث معه

_ كم المبلغ الذى تريده؟

هكذا تسائلت و انا اخشى ان يتخطى المبلغ الذى بحوزتى ، مصادفة عجيبة ان يحدث ذلك الموقف فى نفس الوقت الذى كنت املك فيه ثمن الهاتف الذى عزمت على شرائه ، تلك النقود التى ظللت ادخر فيها لمدة ثمانى اشهر لكنه القدر

_ ثلاثة آلاف جنيها

صعقت عندسماعى لكلماته

_ لكنى لا املك المبلغ كاملا

هكذا اخبرته فى قلق واضح من رد فعله ، لكنه قال بنبرة جادة أقرب إلى التهديد المباشر

_ لن أتركه يذهب الا بعدما احصل على نقودى

_ معاك كام منهم ؟

تسائل حسن فى هلع ، همست فى أذنه

_ الفان و خمس مائة
_ هكذا يكتمل المبلغ
قالها بعدما ناولنى مبلغ من المال ، و بالفعل قمت بتفحصهم و علمت أنهم خمس مائة جنيه ، قمت بإعطائهم للرجل صاحب الوجه الممتعض ، وسط عدد كبير من الشباب و الرجال الجالسين الذين ينظرون إلينا نظرات مريبه بى وجوه متجهمة يكسوها الغضب ، ظفر الرجل بماله ثم القى الى الإيصال بطريقة لا تقل اهانه عن صفع الوجه ، ظفرتبالايصال و انا بداخلى غضب يمكنه أن يدمر مكتبه بما فيه ، لم أتذكر وقتها ماذا قال حسن معلقا على طريقة الرجل ، و لكن على الأرجح هى كلمة مشينة علمت ذلك عندماتحول المكتب الذى نجلس بداخله إلى حلبة مصارعة حرة ، او لكى اكون دقيقا معك تحول هؤلاء الجالسين إلى حيوانات مفترسة لا يمكنك ردعهم عن الغزالة الفريسة ، التى سقطت بينهم و ظفر بها الجميع لينهشوا لحمها حيا ، حاولت ان اخلصه من بين مخالبهم لكن الامر كان بمثابة مهمة مستحيلة ، لكنه استطاع ان يفر بمعجزة من بينهم الى الخارج فتبعته راكضا ، لم يتبعنا من هؤلاء سوى شابا يظهر الإجرام على وجهه بوضوح أخرج سكين من جيب سرواله الممزق و ركض حتى تخطانى و ظفر به ، حاول حسن ان يتملص من قبضته لكنه فشل ، فى نفس اللحظة التى رفع الآخر يده التى تظفر بقوة على السكين الحاد و هوى على وجهه ، لكننى استطعت فى اخر ثانية أن أنقذ وجهه من التمزق ، عندما وضعت يدى اليمنى سريعا فهوت السكينة على ساعدى ، فور شعورى بالألم قمت بتسديدضربة عشوائية بقدمى اليسرى إليه فسقط على ركبتيه فورا و هو يصرخ ، لقد اصبته فى منطقة ما لا يمكننى ذكرها ، ثم تشبثت بزراع حسن الذى تجمد جسده عندرؤيته الدماء السائله من ساعدى و استأنفنا الركض من جديد، منذ تلك اللحظة و هذا الجرح يسبب لى أزمة نفسية ، أصبحت مجبرا طوال السنه ان ارتدى ملابس علوية ذات أكمام لاخفائه ، أريد أن أخبرك اسفا اننى بدأت اسعل و بدأ النعاس يغلبنى ، و ان

ضوء النهار أصبح يغلف الحى الذى أعيش به و ان جميع الطيور غادرت العش لتحلق فى السماء باحثه عن رزقها ، سأتوقف قليلا لأننى فى حاجه ضرورية لممارسة الميتة اليومية ، لكننى اعدك عندما استيقظ سأكمل لك ما حدث فقط انتظرنى ، غادرت الشرفة متجها إلى فراشى الذى اشتقت إليه كثيرا ثم ألقيت بجسدى سريعا فوقه و عانقته عناقا
تخطى عناق العشاق عندما يلتقون بعد سنوات عديدة من الفراق ، و بالفعل غادرت الروح تاركة خلفها جسدى ملقى دون حراك ، بعد مرور عدة ساعات لا أتذكرها بالطبع استيقظت ، أنظر الآن فى ساعة يدى انها الثانية و النصف مساء لم يتبقى سوى ثلاثون دقيقة على موعدى مع صديقى نادر ، سأخبرك خلالها عن نهاية الأحداث التى تنتظرنى من أجل معرفتها ، ذات يوم بعد مرور شهرين من بدأ العام الدراسى التانى ، كنت جالسا فوق الحشائش الخضراء داخل الجامعة استحى كوبا من الشاى و انفث الدخان فى هدوء ، فجأة شعرت برؤوس أصابع رقيقة تربت على كتفى برفق ، و عندما التفت وجدتها تقف فى خجل تعتلى وجهها ابتسامة خفيفة ، انتابتنى حالة من التوتر المزعج و فقدت النطق ، إنها مريم التى حلمت ان اتحدث إليها و لو لخمسة دقائق فقط و الآن هى التى جاءت إلى ، فى البداية ظننته حلما و لكن لفافة التبغ تولت مهمة اقناعى فورا ، عندما ظلت تلتهم ذاتها حتى وصلت النار إلى أحد أصابعي ، انتفضت انا بالطبع وقتها فأطلقت هى ضحكة تلقائية شبه مرتفعه ثم قالت
_ آسفة اننى تسببت فى ذلك
_لا تعتذرى ، انه خطأى انا
_ هل تسمح لى بالجلوس معك ؟
_ بالطبع تفضلى
جلست فى وقار لا يليق الا بالأميرات صحيح انها ظلت صامته لبعض الوقت و عيناها كانتا تترنحان يمينا و يسارا و كأنها تريد اخبارى بشئ ، لكن يتضح ان هناك حالة من التردد تسيطر عليها بشدة ، بعد عدة لحظات كانت قد

استجمعت شجاعتها فقالت متعمدة ان لا تلتقى أعيننا
_ علمت انك تكن لى مشاعر عظيمة
ابتلعت ريقى بصعوبة بالغة ، و تسائلت متظاهر بعدم الفهم
_ ماذا تقصدين ؟
_ لقد اخبرنى حازم بذلك
قالتها ثم حدقت بي فى هذة اللحظة صرحت عينى بالفرار من مواجهتها ، لكنها استرسلت دون انتظار رد
_ هل هذة حقيقة ؟
اجبت بتلقائية لا احسد عليها
_ كنت
تلاشت فورا الإبتسامة المرسومة على وجهها و التزمت الصمت لبعض الوقت ، ثم بدأت تتحدث من جديد بعدما أطلقت تنهيدة قصيرة ، هل لديك الرغبة فى الاستماع لى ؟ اجبتها نعم فقالت اذن سأخبرك بقصتى ، اخبرتنى انه فى العام الماضى عندما كانت فى تلك الرحلة التى أعددتها الجامعة بمدينة الاسكندرية ، اقتحمها حسن وقتها عند الشاطئ و طلب منها ان تسير بصحبته عبر الجسر لأنه يريد أن يخبرها بأمر هام فقبلت ، و أثناء سيرهما قام بالتصريح عن إعجابه بها ! ، انعقد حاجبى و تجهم وجهى ، عندما لاحظت ذلك توقفت و تسائلت لكنى استطعت ان اخدعها ببساطة اخبرتها اننى تذكرت شئ ازعجنى ، لك ان تتخيل ما شعرت به حين سمعت ذلك تمنيت ان تسقط فوق رأسى شرفة أحد المنازل أفضل من ان استمع إلى هذة الكلمات لكن لا يهم ، إذا أردت أن يكن لك صديقا وفى ليس عليك سوى ان تشترى كلبا ، استأنفت حديثها و قالت انها تفاجئت فى البداية و كادت أن ترفض لأنها لم تخوض تجربة الحب من قبل ، لكنه شعر بذلك و ظل يلقى باقات من الكلام المعسول و الغزل ليعبث بمشاعرها العذراء ، خاصة عندما علم انها التجربة الأولى لها ، ظل يمارس ذلك معتمدا على خبرته التى اكتسبها عن طريق علاقاته المتعدده بالفتيات حتى خارت قوتها على الرفض ، و منذ ذلك اليوم و هما يتحدثان عبر الهاتف و يتقابلان حتى

سقطت فى بئر الحب و بلغت القاع ، ذات يوم شعرت بأنه حزين دون سبب واضح أحست بذلك منذ لحظة لقائهما الأولى تسائلت عدة مرات عن السبب لكن دون جدوى كان يجيب بلا شئ ، حتى اخبرها بعد الحاح شديد انه ابتاع هاتف بنظام التقسيط بمبلغ ثلاثة آلاف جنيها قام بدفع الف جنيها حتى الآن من المبلغ و لم يستطيع دفع الجزء المتبقى ، لانه ترك عمله من أجل اضطهاد مديره المستمر له ، و ان الرجل صاحب متجر الهواتف أخبرهان لم يدفع المبلغ المتبقى سيقوم بزجه الى السجن عن طريق تقديم الايصالات التى وقع عليها إلى الشرطة ، فقامت بقرضه المبلغ بعد مرور عدةدقائق من المحاولات ، غضب فى البداية و رفض بشدة لكنه قبل فى النهاية ، بعد مرور شهر لم يلتقى بها خلاله بحجة أنه منشغل فى عمله الجديد اخبرها انه يريد أن يلتقى بها و بالفعل ذهبت لتلتقى به ، فقام بسرد قصة أخرى تختلف عن الماضية محتواها انه يريد بعض المال فقامت بإعطائه ما يريد ، تكرر الأمر كثيرا و فى كل مرة كان يبتكر شيئا جديدالكن اقل اقناعا و أكثر سذاجه مما سبقه ، لكن مشاعرها تجاهه كانت تتكفل بإقناعها و بتخديرها فى ان واحد ، لكنها لم تنتبه إلى انه يتغذى على مالها مثلما تتغذى الحشرات على رحيق الورود و ان مشاعره تجاهها صبحت جافة مثل الأراضى البور ، انه الحب الذى يجعلك تفقد حكمتك فى تدبر الأمور و تتبع مشاعرك الكفيفة التى تحجب عنك عيوب الآخر ، أدهشتني كثيرا عندماقالت ان أخر لقاء بينهما جاء اليها و هو يقود سيارة فارهة تسائلت بالطبع عن أمر السيارة فاخبرها انها سيارة أخاه ، اصطحبها يومها فى مكان هادئ و حاول أن يقبلها لكنها رفضت بقوة و عندما تكررت محاولته قامت بصفعه و غادرت السيارة ، لكنه لاحقها و اعتذر و تعهد بأنه لن يكرر فعلته مرةاخرى ، و بالفعل غادرا ذلك المكان و أثناء طريقهم كان يكرر اعتذاره و يحاول بقدر الامكان ارضائها ، فى تلك اللحظة لم ينتبه إلى القيادة فصدمته إحدى السيارات من الخلف ، توقف و ترجل من سيارته و بعد مشادة وصلت لتشابكات

بالايدى استغرقت عدة دقائق ، فى النهاية اخبرها الحقيقة انه استأجرها من احد معارض تأجير السيارات و عندما تسائلت عن سبب زعمه بأن السيارة ملكا لأخيه ، تملص من الإجابة و اخبرها انه لا يعلم ماذا سيفعل الآن مع صاحب السيارة الذى يملك إيصال قام بتوقيعه كضمان ليعيدها ، اخبرته انها لا تملك أي نقود ثم أعطته شيئا اخر هو خاتم ذهبى كانت ترتدية فى خنصرها الايمن ، قبله فورا دون اى ادعائات ساذجة للرفض ، و بعد مرور أسبوع عاشته فى قلق من ان يكون اصابه مكروه حاولت الاتصال به كثيرا خلاله دون ان يجيبها ، عاودت الاتصال مرةأخرى فى الاسبوع التالى فأجاب هاتفه لكن لم يكون هو ، بل كان صوتا انثوى مائع ساورها الشك للحظة انها أخطأت الاتصال ، فتسائلت فى قلق أليس هذا الهاتف ملكا لشخص يدعى حسن ؟ اجابتها الأخرى نعم انه هو ، من انتى؟ هكذا تسائلت صاحبة الصوت فأجابت مريم فى سذاجة انا صديقته فى الجامعه ، فأخبرتها الأخرى بأنه ليس من التربية الحسنة ان تخاطب فتاة شابا مرتبط ، افجعتها تلك الكلمات و لم تجد وقتها شيئا يفعل سوى إنهاء المكالمة فورا ، انت تعلم بالطبع كيف كانت حالتها النفسية وقتها لا داعى ان أخبرك بالتفاصيل ، لكنى سأضيف شيئا مهما هو انها حاولت الانتحار عبر تناول كمية كبيرة من الأدوية المختلفة التى كادت أن تؤدى إلي وفاتها بسكته قلبية ، لولا ستر الله ان أهلها قاموا بدعوةأحد الأطباء فورا إلى المنزل و استطاع إنقاذها فى النهاية ، هكذا انهت قصتها و دموعها تسيل كأمطار الشتاء دون توقف ، و بدأت تلومنى و تدعى اننى المتسبب فى ذلك لأننى لم أمتلك الشجاعه الكافية لمواجهتها و الاعتراف لها بحبى ، فى هذة اللحظة شعرت بعدم تحكمى فى ذاتى نظرت إلى يدى اليمنى التى ارتفعت فى حركة بطيئة متجهها إلى وجهها الملطخ بالميكياجالسائح نتيجة لامتزاجه بالدموع و كأننى اترقب جسد شخص آخر غيرى ، دنا كفي من عيناها و بدأت رؤوس اصابعى تلامس وجنتيها لتزيل آثار الدموعالتى توقفت على الفور ، كان قلبى

يخفق مثل الطبل و روادنى شعور قوى و رغبة عارمة فى عناقها لكننى استعدت السيطرة على ذاتى فى تلك اللحظة الحاسمة و اكتفيت بأن اظفر بكف يدها ، عندما فعلت ذلك سعدت هى كثيرا علمت ذلك عندما شبكت أصابعها بأصابعى فى حرارة حارقة ، كنا نسير وقتها دون ان نتفوه بكلمة صمت شديد يسيطر على كلانا ، فعندما تتحدث المشاعر يكن الأمر أكثر عمقا و يجبر اللسان على فقد حقه فى التعبير ، غادرنا الجامعة وسط عيون لا تحصى ترمقنا فى حقد و ملامة و اعجاب فى ان واحد ثم توقفنا عند موقف لسيارات الأجرة يعج بجمع غفير من البشر ، طلبت رقم هاتفى بحجة الاطمئنان على قمت باعطائها اياه لكنى افسدت كل شئ عن عمد ، أخبرتها بأننا سنظل أخوة إلى الأبد لا اكثر و انها اذا أرادت مساعدة فى اى شئ يجب أن تتصل بى دون خجل او تردد ، شعرت بأنها تجمدت و تحولت ملامحها من سعادة إلى دهشة ممتزجه بحزن ، فصافحتها و غادرت فورا دون ان أنظر خلفى حتى و انتهى الأمر على ذلك ، نسيت ان أخبرك اننى كنت أسرد لك ذلك أثناء سيرى و انا فى طريقى إلى نادر ، و يسعدنى ان أخبرك انى وصلت حالا ،
الان انا اجلس فى غرفته امام اختراعه المعقد الذى سيساعدنى فى العودة إلى الماضى ، الجهاز عبارة عن شيئا ضخم فى حجم سيارة ، عمودى الشكل مثل ثلاجة لكنه اكثر حجما بالطبع ، يصل ارتفاعه إلى سقف الغرفة تتدلى منه عدة أسلاك رفيعة لا حصر لها ذات الوان مختلفة ، من بين تلك الاسلاك هناك كابل سميك يختلف عن الاسلاك الأخرى حجما و لونا يتصل بشاشة تلفاز ، و هناك كابلا طويل آخر يشبهه ينتهى بشيئا يشبه الخوذة لكنه أشبه كثير بهيكل صنع من الحديد المغطى بطبقة بلاستيكية عازلة
_ هل انت جاهز الان يا آدم ؟
هكذا تسائل نادر فى جدية
_ نعم
_ اذن ، استلقى هنا من فضلك

قالها و هو يشير إلى الشيزلونج الموضوع بجانب الشاشة ، استلقيت فورا و ارتديت تلك الشئ الشبيه بالخوذة فى جمجمتى كما طلب منى
_ عندى سؤال أرغب بشدة فى الحصول على اجابته
قالها نادر فى حماس
_ ما هو إذن ؟
_ لماذا رفضت عرض مريم الواضح فى إنشاء علاقة بينكما ، على الرغم من انك كنت من قبل تتمنى بشغف ان يحدث ذلك ؟
اعتلت وجهى ابتسامة خفيفة ثم شهقت و زفرت فى هدوء و أجبته بصدق ، علي السؤال الذى طالما كنت اتهرب من اجابته عمدا كلما سألنى أحدا من المحيطين
_ سأخبرك لكن دون تعليق منك عندما انتهى
اومأ برأسه إيجابا
_ لقد شعرت بأنها لازالت تحبه رغم كل ما فعله بها ، و انها لم تأتى إلى لأنها شعرت بقيمتى ، بل لتضمد جرحها بشخص يشعرها بأنها مرغوب فيها ، لكى اكون واضحا معك كانت تتملكها حالة احتياج للحب لا اكثر ، و على الرغم من حبى لها لقد منعتنى كرامتى من ان اكون مجرد دمية او مسكن لجرح تسبب فيه شخصا آخر هذا كل شئ ، ساد الصمت قليلا ثم تسائل نادر فى حزن
_ مستعد ؟
اومأت برأسى إيجابا ، ثم استرسل هو
_لا تقلق اذا شعرت بدوار البحر ، حاول الا تتحرك مهما شعرت بألم ، سيستغرق الامر عدة دقائق فقط فهمت
_ نعم
_ فلنبدأ الان
قالها نادر أثناء سيره تجاه الجهاز و توقف عند زر متوسط الحجم يشبه كثيرا عش الغراب لكنه ذو لون أحمر قانى ، نظر إلى نظرة مطولة ثم ضغط على الزر ، شعرت بصداع خفيف يطفو داخل رأسى يزداد بمرور الوقت حتى أصبح لا يطاق يكاد يفتك برأسى ، ثم بدأ ينخفض ثم شعرت بدوار كما اخبرنى ثم فقدت الوعى نعم هذا ما حدث ، بعد مرور

بعض الوقت استيقظت لأرى نفسى داخل الجامعة انه اول يوم دراسى نعم علمت ذلك عندما امعنت النظر إلى ملابسي ، فجأة ظهرت مريم بنفس تفاصيل ملابسها و وجهها الساطع ذو المسحة الجمالية الربانية الملفته ، حتى إننى شعرت بنفس الشعور الذى زارنى يوم رؤيتها ، لكن أنتظر أريد أن أخبرك بشيئا اهم لا تنتابنى حالة الخجل التى تسببت فى ضياعها منى انه شيئا جيد بحق ، سأحاول أن اقتحمها الان لاقوم بتغييرقرارى القديم فى ترقبها من بعيد دون فائدة
لأرى النتيجة المختلفة ، دنوت منها فى وقار مبتسما فى هدوء
_ صباح الخير
قلتها دون خجل
_ صباح النور
قالتها منتظره ان أفصح عن سبب حديثى معها
_ هل تسمحى لى ان اتحدث اليكى قليلا ؟
_ بالطبع تفضل
_ هل ستصدقينىاذا أخبرتك بأننى معجب بكى ؟
همت ان تجيب ، لكنى قاطعتها سريعا و استرسلت
_ اقسم لكى انها المرة الاولى التى أخبر بها فتاة بذلك
ابتسمت فى هدوء ثم قالت
_ اصدقك ، لكن ذلك لا يهم الان
احمرة وجنتى خجلا ، لكنى قاومت خجلى و تسائلت
_ ماذا تقصدين بى لا يهم الان ؟
بسطت يدها اليمنى مشيرة بعيناها الى الدبلة القابعة فى بنصرها ثم قالت موضحة
_ لأننى مرتبطة بشخص يحبنى و احبه و يعاملنى مثل الملكات
كنت انصت إليها فى صمت رهيب ، لكنها استرسلت دون ان تنتظر اى تعليق منى
_ كنت أود أن أدعوك إلى حضور حفل زفافى ، الذى سيقام فى نهاية الشهر القادم ، لكنى اسفة لأنه يغار على كثيرا ، بعد اذنك

قالتها و انصرفت و تركتني اسير لحالة رهيبة من الذهول ، لكنى لاحقتها سريعا فتوقفت
_ هل اسمك هو مريم ؟
انعقد حاجبيها فورا ، و تسائلت فى فضول قاتل
_ كيف علمت ذلك ؟
_لا يهم
هكذا اجبتها و انصرفت سريعا عن عمد لاتركها فى فضول و حيرة ، الغريب اننى لم أشعر بأى حزن بل بالعكس لقد سعدت كثيرا لأننى تدبرتالامر بعقل حكيم ، و طاب جرحى سريعا عندما فهمت أن القدر هو من جعلنى استسلم إلى خجلى فى البداية و ترتب على ذلك ما حدث فيما بعد ، حتى إننى عندما عودت بعقلى الذى هو الأفضل على الأرجح من ذى قبل و اكثر خبرةو حكمة ، و استطعت ان اسيطر على خجلي الذى رأيت انه خطأى الأول و استبدلته بشجاعة و جرأه ، تغيرت التفاصيل لكن النهاية كانت واحدة لم تتغير ، هنا ايقنت انها لم تكن لى من البداية فعادت الطمأنينة إلى قلبى من جديد ، فقدت الوعى مرة أخرى ثم استيقظت من جديد لاجد نفسى فى غرفتى لحظة هاتفى يصيح بنفس النغمة المزعجه المعتاده بالنسبة لى ، ما هذا ان المتصل هو حسن مهلا نظرت فورا إلى ساعدى الايمن اكاد ان افقد الوعى مرة أخرى مما رأيت ، امعنت النظر اكثر نعم ان ساعدى سليم تمام دون ندوب و لكن كيف ؟ ، اجبت فورا على الهاتف فأخبرنى انه فى مشكلة كبيرة و اعطانى عنوانا و توسل إلى لكى اذهب إليه فورا ، بحثت فى جيب سروالى فوجدت المبلغ الذى ادخره منذ ثمانى اشهر لابتاع هاتف جديد نعم الفان و خمس مائة جنيه ، ذهبت فورا دون ان أفكر كثيرا و عند وصولى وجدته نفس الحى الفقير و نفس المعرض ، دولفت إلى الداخل وجدت نفس الرجل و الأشخاص المحيطين و هناك فى إحدى زوايا غرفة المكتب يقف نفس الشاب الذى اصابنى ، أشار لى الرجل لكى أجلس فأخبرته اننى يجب ان اذهب حالا لأن والدتى فى المشفى ، ثم تسائلت اياه عن المبلغ الذى يريده فأخبرنى

سريعا بأنه ثلاثة آلاف جنيها ، أخرجت نقودى فورا و ناولتهم إلى حسن دون ان اتفوه بكلمة ، ثم غادرت سريعا وسط ذهول الجالسين ، ثم ركضت حتى أصبحت عند الشارع الرئيسى ، أشرت سريعا إلى اول سيارة أجرة ظهرت امامى توقف السائق بالفعل ، دولفت داخل السيارة و اخبرته بالمكان الذى اقصده ، كنت سعيد بفرارى مما سيحدثمع حسن الان ، بعد مرور بعض الوقت توقف السائق معلنا عن الوصول ، و عند خروجى من السيارة اصطدمت يدى بشئ صلب و حاد شعرت بألم شديد ، و عندمانظرت إلى زراعى الايمن لاتفحصه وجدت ساعدى قد جرح نفس الجرح الذى تعلمه جيدا ، اشعر بإحساسان متناقضان الأن و هما الحزن على ساعدى الذى سيجبرنى ان ارتدى ملابسعلوية ذات اكمام طوال العام ، و الآخر هو الرضا بما قدر الله ان أصيب ، هكذا علمت أن ما حدث لى ليس له علاقة بالأشخاص و لا خطأ فى قراراتى ، انه القدر الذى لا يمكنك الفرار منه مهما فعلت و انه خيرا لك لحكمة لا يعلمها الا الله الحكيم ، فقدت الوعى مرة أخرى لكن تلك المرة عندما استيقظت وجدت نفسى داخل غرفة نادر ، وجدت نفسى مستلقيا على الشيزلونج مرتديا تلك الخوذة اللعينة و بجانبى شاشة التلفاز تعرض جملة قصيرة تقول (تمت التجربة بنجاح) ، تسائل نادر الذى رسمت على وجهه ابتسامة واسعة

_ هل انت بخير ؟

_ نعم ، اشكرك كثيرا يا صديقى

_اخبرنى ماذا حدث معك

قمت بإزالت تلك الخوزة عن جمجمتى و انا مبتسم ، ثم قلت فى رضا

_ سأخبرك ، و لكن بعدما تحضر لى كوبا من الشاي

(تمت)